

تفسير البحر المحيط

@ 11 @ وهذا يبعد قول من ذهب إلى أن أولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب ،
وتقدّم الكلام في أول مرة في سورة التوبة . { وَلَيْدُتَبَرُّوا } بهلكوا . وقال قطرب :
يهدموا . قال الشاعر : % (فما الناس إلاّ عاملان فعامل % .
يتبر ما يبني وآخر رافع .
%) .

والظاهر أن { مَا } مفعولة بيتبروا أي يهلكوا ما غلبوا عليه من الأقطار ، ويحتمل أن
تكون ما ظرفية أي مدة استيلائهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم وانزجرت
عن المعاصي ، وهذه الترجئة ليست لرجوع دولة وإنما هي من باب ترحم المطيع منهم ، وكان
من الطاعة أن يتبعوا عيسى ومحمدًا عليهما السلام فلم يفعلوا . { وَإِنْ عُدْتُمْ } إلى
المعصية مرة ثالثة عدنا إلى العقوبة وقد عادوا فأعاد الله عليهم النعمة بتسليط الأكاسرة
وضرب الأتاوة عليهم . وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم) فهم يطعون
الجزية عن يد وهم صاغرون . وعن قتادة : ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من
العرب فهم منه في عذاب إلى يوم القيامة انتهى . ومعنى { عُدُّنَا } أي في الدنيا إلى
العقوبة . وقال تعالى : { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْغِثَنَّ عَلَيْهِمْ مِنْ يَوْمٍ
يَكُونُ الْفِتْنَةِ مَنِ يَسْؤُمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ } ثم ذكر ما أعد لهم في الآخرة
وهو جعل جهنم لهم { حَصِيرًا } والحصير السجن . قال لبيد : % (ومقامه غلب الرجال
كأنهم % .

جن لدى باب الحصر قيام .

%) .

وقال الحسن : يعني فراشاً ، وعنه أيضاً هو مأخوذ من الحصر والذي يظهر أنها حاصرة لهم
محيطة بهم من جميع جهاتهم ، فحصر معناه ذات حصر إذ لو كان للمبالغة لزمته التاء
لجريانه على مؤنث كما تقول : رحيمة وعليمة ، ولكنه على معنى النسب كقوله السماء منفطر
به أي ذات انفطار . .

{ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّيْتَى هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا *
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *
وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا * }

وَجَعَلْنَا السَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ السَّيْلِ
وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ
وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَاتِ وَالْحِسَابِ . .

لما ذكر تعالى من اختصه بالإسراء وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، ومن آتاه
التوراة وهو موسى عليه السلام وأنها هدى لبني إسرائيل ، وذكر ما قضى عليهم فيها من
التسليط عليهم بذنوبهم ، كان ذلك رادعاً من عقل عن معاصي الله فذكر ما شرف الله به رسوله
من القرآن الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب إلهي ، وأنه يهدي للطريقة أو الحالة التي هي
أقوم . وقال الضحاك والكلبي والفراء { السَّيْلُ هِيَ * أَقْوَمُ } هي شهادة التوحيد .
وقال مقاتل : للأوامر والنواهي و { أَقْوَمُ } هنا أفعل التفضيل على قول الزجاج إذ قدر
أقوم الحالات وقدره غيره أقوم مما عداها أو من كل حال ، والذي يظهر من حيث المعنى أن {
أَقْوَمُ } هنا لا يراد بها التفضيل إذ لا مشاركة بين الطريقة التي يرشد إليها القرآن
وطريقة غيرها ، وفصلت هذه